مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

حوادث الحرفيين والصناع في مصر والشَّام عصر المماليك الجراكسة [٧٨٤-٩٢٣هـ/١٣٨١-١٥١٧م]

د.محمود عبد المقصود ثابت محمد
مدرس التاريخ الإسلامي- كلية الآداب
جامعة أسيوط

المقدمة:

يهدف البحث إلى دراسة وتتبع حالات الحوادث التي تعرض لها الحرفيين والصناع في مصر والشام إبان عصر المماليك الجراكسة, مع محاولة بيان نوع الحادثة: هل هي إصابة عمل أُصيب بها العامل أو الحرفي أثناء عمله, أم هي جريمة تعرض لها سواءٌ أثناء العمل أم في غيره, أم مجرد حادثة أصيب بها في غير أوقات العمل.

ولهذا البحث أهمية خاصة؛ وذلك لعدم وجود دراسات عربية أو أجنبية حول ذلك الموضوع- على حد علمي-؛ حيث يعد إضافة للمكتبة العربية التاريخية بدارسة متخصصة حول هذا الموضوع.

وقد حرصت على إيراد الحوادث على الترتيب الألفبائي لمسمياتها التي عُرفت بها في العصر المملوكي, مع تتبع الحوادث من القديم إلى الأحدث, فكان الحديث عن حوادث صناع البارود, وعمال البناء, والبوابين والحراس والخفراء, والخياطين, والسقَّائين, والصيادين, والطباخين, والعتالين, والفرانين, والقَبَّانِيين, والمغربلين, والنجارين, ثم حوادث العمال الآخرين. وقد أنهيت البحث بخاتمة ضمنتها أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة, ثم ملحقًا يخدم موضوع البحث, ثم قائمة المصادر والمراجع.

والمقصود بالحرفيين والصناع: هم المتعيشون من الحرف والصناعات, سواء أكانوا مُلَّاكًا أم أجراء, من مثل الحاكة, والبناة, والفعلة, والخدم, والحمالين, والسواس, وأمثالهم[i]. وقد احتل أرباب الصنائع القسم السادس من أقسام طبقات المجتمع في العصر المملوكي- حسبما رتبهم المقريزي- فقد مثَّل القسم الأول: السلطان وحاشيته والأمراء, والثاني: أهل اليسار من التجار, والثالث: الباعة, والرابع: أهل الزراعات والحرث, والخامس: جل الفقهاء وطلاب العلم, والكثير من أجناد الحلقة, والسابع: ذوو الحاجة والمسكنة[ii]. وفيما يلي الحديث عن الحرفيين والصناع الذين تعرضوا للحوادث المختلفة في مصر والشام خلال العصر الجركسي:

حوادث صناع البارود[iii]:

اعتنى سلاطين الدولة المملوكية بإنتاج الأسلحة المختلفة وخاصة الثقيلة منها والنارية؛ فقد شهدت دولة المماليك أحداثًا عسكرية وحروبًا كثيرة بينها وبين التتار وفلول الصليبيين في بلاد الشام, فضلًا عن جهادهم في البحر المتوسط, هذا إلى جانب توفر المواد الخام من الجلود والأخشاب والمعادن المختلفة[iv].

وقد نتج عن هذه الصناعة وقوع بعض عمالها في بعض الحوادث, رُصد منها على سبيل المثال: احتراق ثلاثة من صناع البارود في[ربيع الآخر ٩١٩هـ/يونيو ١٥١٣م] أثناء صناعتهم للبارود في الزردخانة[v]؛ فصعد دخان كثيف احترق منه السقف، حتى إن السلطان قانصوه الغوري[٩٠٦-٩٢٢هـ/١٥٠١-١٥١٦م] هرب من عظم الدخان, وقد ذاب لحمهم عن عظمهم, فنزلوا بهم إلى بيوتهم فأقاموا ثلاثة أيام ثم ماتوا[vi].

كما احترق جماعة من صناع البارود في يوم الخميس[١٠صفر ٩٢٠هـ/٦ أبريل ١٥١٤م] في إحدى السفن الحربية بالسويس, فمات منهم نحو العشرين[vii]. ولعل قلة الحوادث في هذه المهن كان ناجمًا عن حرص الدولة على تطبيق سياسة تشبه ما يسمى حديثًا بالأمن الصناعي, أو أن استخدام البرود بصورة كبيرة لم يظهر إلا متأخرًا.

حوادث عمال البناء[viii]:

اقترن التقدم الهائل في مجال المنشآت المعمارية المختلفة- الدينية والتعليمية والتجارية والطبية- في عصر سلاطين المماليك بوقوع حوادث لعمال البناء , وفيما يلي رصد لأشهر طوائف عمال البناء الذين تعرضوا للحوادث مرتبة ترتيبًا زمنيًّا من القديم إلى الحديث كالبنائين, والفعلاء , والتُّرَّابيين[ix], والجباسين[x], والطيانين, والحجارين:

فقد مات كثير من الفعلة[xi]ممن يهدمون الحيطان تحت ردم فندق خان الزكاة- بين القصرين- في يوم الإثنين[٢شعبان ٧٨٦هـ/١٩سبتمبر ١٣٨٤م] وقد شرع السلطان الظاهر برقوق- في فترة حكمه الأولى[٧٨٤-٧٩١هـ/١٣٨٢-١٣٨٨م]- في هدمه في[رجب/ أغسطس] من السنة نفسها؛ لبناء المدرسة البرقوقية[xii]. وأثناء تركيب درابزينات[xiii] المقصورة[xiv]بالجامع الأموي, سقط بعضها على أحد الصناع فقتلته وذلك قبل يوم الخميس [٢٧شوال٨٠٦هـ/٨مايو ١٤٠٤م][xv].

واجتمع ترابي وقيم[xvi]حمام بصالحية دمشق[xvii]لشرب الخمر في ليلة الإثنين[٢١ المحرم٨١٣هـ/٢٦مايو ١٤١٠م], فأصبحا ويديهما وبعض ثيابهما بها أثر من حريق, ولم يكن عندهما نار, وهرع الناس إلى رؤيتهما أفواجًا[xviii]. وهي إحدى الحوادث الشخصية في غير أوقات العمل, وكأنَّ اللهَ أراد أن تكون تلك الحادثة آية منه في عدم إتيان المنكرات, فقد تم احتراق أيديهما وبعض ثيابهما فقط دون بقية أجزاء جسدهما أو ثيابهما أو شيء من المنزل الذي كانا فيه بالرغم من عدم وجود نار بالقرب منهما, ولعل سبب موتهما هو نوع الشراب الذي كانا يشربانه فلعله يكون مغشوشًا ببعض المواد الكيميائية الحارقة؛ فيبدو أن

تلك المواد قد تفاعلت في جوفهما مما تسببت في موتهما بعد عدة دقائق, ويمكن إرجاع سبب الاحتراق؛ لكونهما كانا يمسكان الكأس بأيديهما فربما وقع شيء منه عليهما فحُرِقَتَا بتلك التفاعلات الكيميائية.

وتتوالى حوادث عمال البناء وتكثر بزيادة النشاط العمراني في دولة المماليك, فقد سقط عشرة عمال, فمات أربعة, وتكسر ستة[xix], من أصل مائة فاعل وبضع وثلاثين بناء في[١٧ربيع الآخر ٨٢٠هـ/٣يونيو١٤١٧م], كان قد عيَّنهم السلطان المؤيد شيخ[٨١٥-٨٢٤هـ/١٤١٢-١٤٢١م]؛ لبناء الجامع المؤيدي [xx] في [٥صفر٨١٩هـ / ٤أبريل١٤١٦م] [xxi].

وتوفي البناء الحاذق يوسف بن يحيى, أثناء عمله في إصلاح خان الفندق المنسوب إلى العادل نور الدين محمود بن زنكي[٥٤١-٥٦٩هـ/١١٤٦-١١٧٤م]؛ حيثُ وقع عليه قالب فمات في[١٤شعبان٨٥٩هـ/٢٧مارس١٣٠٥م][xxii].

ومات اثنان من عمال البناء أثناء عملهما, الأول سقط من سقف مشهد المؤذنين[xxiii] بالجامع الأموي في يوم السبت[٢٧رمضان٨٨٤هـ/١٢ديسمبر١٤٧٩م][xxiv], والثاني إثر سقوطه من سقف مشهد الزيلع في يوم الثلاثاء [١٠شوال٨٨٥هـ/١٣ديسمبر١٤٨٠م][xxv].

وأسفر هجوم بعض العربان على الجباسين بجبل المقطم في[المحرم٨٩٤هـ/ديسمبر ١٤٨٨م] إلى وقوع قتلى وجرحى في صفوف الجباسين[xxvi]. وكان لتدهور الأوضاع الاقتصادية والأمنية- الذي اشتدت وطأته على البلاد ابتداءً من[القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي]- أثرٌ واضحٌ على تلك الحادثة.

كما سقط رجل طيان من سطح بيت الأمير فارس بالسويقة المحروقة[xxvii] فلم يلبث أن مات في يوم الخميس[٢٧ذي القعدة ٨٩٤هـ/٢٢ أكتوبر١٤٨٩م][xxviii]. وهلك تحت الردم جماعة من الفعلاء وتهشم جماعة أُخر, أثناء عملهم بالقلعة؛ إذ سقط عليهم حائط بها في[ذي الحجة٨٩٤هـ/أكتوبر١٤٨٩م]؛ ولعل السبب قدم الحائط, ثم تشعثه بسبب الأمطار التي سقطت في الشهر نفسه والذي وصف بالمطر الغزير, والذي تسبب كذلك في سقوط عدة أماكن قديمة البناء[xxix]. ووقع في[ذي القعدة ٨٩٩هـ/أغسطس١٤٩٤م] مقطع من جبل المقطم على جماعة من الحجارين فماتوا تحته[xxx].

واتهم أحد جيران الأمير طراباي[ت٩١٧هـ/١٥١١م][xxxi](رأس نوبة النوب)[xxxii]أحد الفلاحين في[ذي القعدة ٩١٢هـ/مارس١٥٠٧م]-وكان يعمل فاعلًا في أحد العمارات- بأنه -وفي وقت الظهيرة- رمى نارًا على دريس[xxxiii]كان للأمير طراباي في درب الخازن[xxxiv] فاحترق؛ فأرسل الأمير فقبض على الفلاح, وضربه بالمقارع[xxxv], ثم قطع يده اليمنى ثم رجله اليمنى, وأشهره في القاهرة, كما أراد أن يحرقه, فشفع فيه بعض الأمراء[xxxvi].

وصدم رجل ترابي أحد مماليك الأمير سيباي[ت٩٢٢هـ/١٥١٦م][xxxvii](نائب الشام), فألقاه أرضًا في[٦جمادى الآخرة ٩١٨هـ/١٩أغسطس١٥١٢م] فضرب المملوك الترابي ضربة في رأسه أدمته, فشكاه إلى الأمير سنبطاي(والي القلعة)[xxxviii], فأمر بضرب المملوك, فبلغ نائب الشام ذلك, فظلَّ أيامًا مغضبًا, وكتب إلى السلطان قانصوه الغوري يخبره بذلك[xxxix]. وقد ترتب على إقامة تلك المنشآت المعمارية, العديد من البوابين والحراس؛ حفاظًا عليها, وحرصًا على استتباب الأمن الداخلي, وفيما يلي جانبًا من حوادث هذه الفئة:

حوادث البوابين والحراس والخفراء[xl]:

وهم العاملون في مهنة حراسة الدروب, والقياسر, والأسواق, والمدارس, والمنازل, والجوامع, والمساجد. وقد قال "باسيل"- تاجر روسي زار مصر في عامي [١٤٦٥-١٤٦٦م/٨٧٠هـ]- عن القاهرة: "بها أربعة عشر ألف شارع... وفي بعض هذه الشوارع ما يقرب من خمسة عشر ألف مسكن, أما البعض الآخر فيضم ثمانية عشر ألفًا, ولكل شارع سوق كبير, يكفي القاطنين به ويسد احتياجاتهم اليومية", وربما كان هدفه من هذه المبالغة الواضحة؛ إبراز الكثافة السكانية للعاصمة وإظهار مدى اتساعها[xli], وقد أحصى "جان ثونو"- رحالة فرنسي زار القاهرة في[مارس١٥١٢م/المحرم٩١٨هـ]- عدد مساجد القاهرة فكانت عشرين ألفًا[xlii].

وإذا استعرضنا أسباب حوادث أشهر طوائف هذه الفئة, نراها تدور حول أسباب اقتصادية, فقد سرق جماعة من الواحية[xliii]- بوابين بالدهيشة[xliv]- خزانة الخاص السلطانية[xlv]في[ذي القعدة٨٨٠هـ/فبراير١٤٧٦م], ثم ظُفر بهم وضُربوا حتى أحضروا المال[xlvi]. ويبدو أن السلطة الأمنية في مصر كانت على يقظة تامة؛ ولعل ذلك يرجع إلى أن مقر العاصمة التي يقطنها السلطان كانت في مصر, أو لعله لأهمية المسروقات.

كما تعرض البواب الخاص لبيت رجل يدعى: محمد بن المزلق لجراحات أثناء مقاومته للسُّراق الذين هجموا على البيت بغرض السرقة, وقد تمكنوا من أخذ صندوق فيه أشياء كثيرة, وذلك في يوم الإثنين[٢شوال٨٨٥هـ/٥ديسمبر١٤٨٠م][xlvii]. وفقد بواب قيسارية جهاركس[xlviii]حياته أثناء مقاومة للصوص؛ حيثُ هاجموا القيسارية ليلاً في[جمادى الأولى ٨٨٧هـ/يونيو١٤٨٢م] وتمكنوا من سرقة الكثير من الدكاكين[xlix]. كما تمكن جماعة من المنسر[l] من قتل بواب سوق باب الشعرية[li]في[ربيع الآخر ٨٩١هـ/أبريل١٤٨٦م] وفتحوا عدة دكاكين, وأخذوا ما فيها ثم خرجوا من الباب[lii].

والحوادث الثلاث الأخيرة كانت بغرض السرقة, فقد جرح وقتل فيها البوابون, ويلاحظ أن السارقين لم يُعثرُ عليهم، كما تمكنوا من الخروج بالمسروقات ولم يعترضهم أي فرد من أفراد الأمن, وهذا يدل على تضعضع الحالة الأمنية في أخريات العصر المملوكي.

ومات بواب الجامع الناصري بالقلعة[liii] مع ولده تحت أنقاض قبة الجامع؛ إذ سقطت ليلًا على المحراب، وكسرت المنبر في[ذي الحجة٨٩٢هـ/نوفمبر١٤٨٧م][liv]. وبالرغم من أن هذه الحادثة تُعدُّ من حوادث إصابات العمل, فإن المصادر لم تشر إلى منح الإدارة لذرية البواب أية تعويضات مادية, ولعل ذلك راجع إلى عدم اهتمام السلطات بمثل هؤلاء العمال, وهذا ما سوف يتم رصده في ثنايا البحث, ولعلها خصصت لذريته معاشًا ولم تذكره المصادر, أو لم يعلم كاتب المصدر بذلك.

وقتل ليلًا عدد من أرباب الأدراك[lv] أثناء دفاعهم عن سوق باب اللوق[lvi], حينما تعرض لهجوم المنسر في[ربيع الأول٩٠٠هـ/نوفمبر١٤٩٤م], وتمكنوا من سرقة أقمشة وأمتعة كثيرة[lvii]. كما هاجموا في[شعبان٩٠٢هـ/أبريل١٤٩٧م] سوق أمير الجيوش[lviii], وقتلوا الغفير[lix]. وقتل ثلاثة خفراء في[ذي القعدة ٩٠٥هـ/مايو١٥٠٠م] عقب هجوم نحو مائة منسر مشاةً وركبانًا بالقسي والنشاب على سوقي الوراقين[lx]والمهامزيين[lxi], وكسروا عدة حوانيت, ونهبوا قماشًا بنحو عشرة آلاف دينار[lxii].

وأسفر هجوم المنسر بالقسي والنشاب على السكان المجاورين لقنطرة الحاجب[lxiii] في ليلة السبت[٢٣صفر٩٠٨هـ/٢٨ أغسطس١٥٠٢م] عن قتل أحد الخفراء, ثم دخل المنسر على الجسر التي بجوار بركة الرطلي[lxiv], وخطفوا عدة عمائم, فلما علم علان(والي القاهرة)[lxv] بذلك ساق خلف المنسر فظفر بثمانية منهم, وفي الصباح عرضهم

على السلطان قانصوه الغوري, فرسم بتسميرهم[lxvi]على جمال وطافوا بهم القاهرة, فلما قدموا بهم إلى قنطرة الحاجب فشنق منهم جماعة وسط[lxvii] آخرين[lxviii].

وفقد بواب قيسارية القواسين– قبلي الجامع الأموي– ويدعى: عثمان بن الصغيرة حياته أثناء مقاومته للصوص هاجموا القيسارية ليلة الإثنين[١٢جمادى الأولى٩١٠هـ/٢١ أكتوبر١٥٠٤م]، وسرقوا نحو ثلاثين قوسًا[lxix]. كما خُنق في ليلة الأربعاء[١رمضان٩١٠هـ/ ٥فبراير١٥٠٥م] بواب قيسارية الخواجة ابن الرسام[lxx], وسرق منها مالًا كثيرًا, وصودر مالٌ كثيرٌ من أهل المحلة [lxxi]. وفقد حارس محلتي الشويكة[lxxii]وقبر عاتكة[lxxiii]حياته أثناء مدافعته عن حوانيتها التي تعرضت لمهاجمة أوباش المحلتين في يوم الإثنين[١٤رمضان ٩١٣هـ/١٧ يناير١٥٠٨م], ثم بعد يومين عُرفوا, فمسكوا[lxxiv].

وقتل المنسر أحد الخفراء في يوم الجمعة[٢٩جمادى الآخرة ٩١٨هـ/١١سبتمبر ١٥١٢م] أثناء هجومهم على سكان الزريبة[lxxv]من المتفرجين, فدخلوا المقاصف[lxxvi], ونهبوا عمائم الناس وقماشهم وعبيهم[lxxvii].

ونجد أنَّ جميع الحوادث السابقة التي تبدأ من[ربيع الأول٩٠٠هـ/نوفمبر١٤٩٤م] وحتى[٢٩ جمادى الآخرة ٩١٨هـ/١١سبتمبر١٥١٢م] وعددها ثمان تتعلق بسرقة الأسواق والقياسر الكبيرة, كما اتفقت في تعرض حراسها للقتل بالخنق أو الذبح, ونجد كذلك استخدام السارقين الأسلحة فيما يعرف بالسطو المسلح, كما بلغت المسروقات جميع الأنواع من القماش والقسي والعمائم والكثير من الأموال، والتي بلغت في بعض الحالات نحو عشرة آلاف دينار, وفي المقابل لم نجد من المصادر التاريخية أية إشارة إلى مقاومة الأمن لهذه الجرائم سوى في تلك الحادثة التي حدثت في مصر ليلة السبت[٢٣صفر٩٠٨هـ/٢٨أغسطس ١٥٠٢م]؛ بسبب اختلال الأمن الداخلي الذي يعود أيضًا إلى ضعف الحكومة الناتج عن فقدان القدرة المماليكية على حماية أعز مقدراتها وهي التجارة. فمن المعروف أن التجارة وحركة الأسواق لا تزدهر إلا في ظل استقرار الأمن واستتبابه, سواء على طول الطرق التجارية أم في أماكن الأسواق[lxxviii].

حوادث الجزارين[lxxix]:

غرق في نهر النيل نحو عشرين جزارًا؛ أثناء تعديتهم من بولاق إلى إمبابة في [رجب٨٢٦هـ/يونيو١٤٢٣م]؛ وقد طرح الأستادار[lxxx] أرغون شاه النوروزي[ت٨٤٠هـ/

١٤٣٧م][lxxxi]عليهم عددًا من الأغنام والأبقار غصبًا, فقرأ واحد منهم الفاتحة ودعا على نفسه وأمن الباقون على أنفسهم بالموت؛ ليستريحوا من الظلم وغرامة المال, فما توسطوا النيل حتى انقلبت المركب بمن فيها, وقد وصف ابن شاهين هذه الحادثة بالغريبة والنادرة والشنيعة[lxxxii], وقد أرجع ابن حجر أن سبب الحادثة زيادة مياه النيل[lxxxiii].

وتعرض جزَّارٌ لعقاب شديد؛ لضربه هِرًّا تكرر أذاه له بسكين في باب الزهومة[lxxxiv] بالقاهرة, فجرح القط, فاشتكاه أحد العوام إلى الأمير جانبك الساقي[ت٨٥٧هـ/١٤٥٣م][lxxxv] (والي القاهرة) في يوم الأربعاء[١٧رجب٨٥٥هـ/١٥أغسطس١٤٥١م], فأمر بقطع أعصابه, ثم شفع فيه, فضرب ضربًا كثيرًا, وطيف به في جمع كثير من العوام وهم يضربونه ويهينونه, والهر على كتفه, ووراءه منادٍ يقول: هذا جزاء من يقطع أعصاب القطط, ثم أمر بأن يسلم الهرُّ إلى الجزَّار، وأن يتحمل تكاليف معالجته عند أحد الجرَّاحين؛ حتى يبرأ الهر, ثم يريه للوالي, وكانت هذه القضية من أغرب القضايا[lxxxvi].

والشاهد في هذه الحادثة هو تعرض الجزَّار للضرر النفسي بقطع أعصابه, وكذلك تعرضه للضرب الشديد والتشهير به, كما تظهر الحادثة تعاطفًا طيبًا مع الحيوانات, ليس فقط من جمهور العامة بل كذلك من إدارة الدولة, وتُعدُّ هذه الحادثة دليلًا على وجود ظاهرة الرفق بالحيوان خلال العصر المملوكي, مستمدة من تعاليم ديننا الإسلامي الحنيف.

حوادث الخياطين:

وهم العاملون في صناعة الملابس الرجالية منها والنسائية, وقد تم رصد العديد من الحوادث المتعلقة بهذه الصناعة فكانت أسباب الحوادث تدور حول الخلافات الشخصية, أو المنافسة في العمل, أو ظلم بعض النظم الاقتصادية التي كانت تفرضها الدولة على العاملين بهذه الصناعة, كما أنَّ الدولة لم تنتصر للمظلومين منها في أغلب المواقف, وهذه أمور تعكس حالة التراجع التي منيت بها دولة المماليك الجراكسة:

فقد تعرض أحد الحائكين للقتل بعد ضرب شديد من قبل الأمير آصباي البواب[lxxxvii] في[ربيع الآخر ٨٧١هـ/نوفمبر١٤٦٦م]؛ بسبب نطرون[lxxxviii]رماه على الحائكين, ووقعت فتنة كبيرة ثار فيها الغوغاء, فوسط السلطان خُشْقَدَم[٨٦٥-٨٧٢هـ/١٤٦١-١٤٦٧م] صاحب النطرون, وآل الأمر إلى سكون الفتنة بعد مصالحة آصباي على دفع ألف دينار[lxxxix]. وقد أدى تدخل الدولة في الأنظمة الرقابية والمسيرة

للأسواق, والمتمثلة في نظام طرح البضائع – فقد اضطرت الدولة إلى إقرار نظام طرح البضائع؛ لحل مشاكلها المالية؛ وذلك بطرح البضائع المتوفرة لديها على التجار بالسعر الذي تراه مناسبًا, وبالكمية التي تريد, بغض النظر عن حاجة الأسواق, كما أن التاجر من ناحية أخرى لم يكن يتمتع بحق الرفض أو حق المساومة على السعر المفروض من قبل الدولة[xc]– إلى أضرار اقتصادية بالغة السوء على الحالة الأمنية الداخلية, والتي تسببت في موت أحد الحاكين, وكذلك ثورة العامة.

فبالرغم من تعرض الرجل الحائك للضرب من قبل آصباي البواب, فقد آل الأمر إلى تغريم القاتل بألف دينار, بدلًا من قتله, ثم بعد مضي عام تقريبًا ولاه السلطان ولاية القاهرة في[جمادى الأولى٨٧٢هـ/نوفمبر١٤٦٧م][xci]. كما أن هذه الحادثة خير دليل على انتصار الدولة لمماليكها, وسيتضح لنا لاحقًا كيف يتم نصرة الجنود والمماليك على الحرفيين والصناع من كافة الطوائف والحرف.

وتشاجر دلالان[xcii] أحدهما من الحسينية[xciii] يلقب بشرن درن, والآخر يدعى: شريدم؛ في[ذي القعدة ٨٨٩هـ/نوفمبر١٤٨٤م]؛ لأجل قطعة قماش أُحضرت للبيع, وكل منهما يريد أن يكون دلالها, فدفع شرن درن شريدم فوقع ميتًا؛ فقبض على شرن درن وسجن مدة, وعمل البعض في ذلك كلامًا مُلحنًا لهج الكثير من الناس به مدة[xciv].

ويستمر مسلسل الحوادث الشخصية بين العمال بعضهم البعض, وهذه المرة بسبب المنافسة على الاستحواذ بصفقة تجارية, وانتصارًا للحق سجن القاتل؛ ليتم التحقيق معه, فإذا تمت إدانته فسوف يعاقب أشد العقاب, وإن كان يُعاب على المصدر عدم ذكر العقاب.

وتعرض أحد الخياطين بقيسارية أمير علي[xcv] للإهانة والضرب بأمر الأمير "يلبغا الناصري"[ت٧٩٣هـ/١٣٩١م][xcvi]في[٨رجب٧٩١هـ/٣يوليو١٣٨٩م]، بعدما عينه السلطان المنصور– الملك الصالح أمير حاج[٧٩١–٧٩٢هـ/١٣٨٩–١٣٩٠م]– في وظيفة معلم الخياطين السلطانية, وسلمه الأمير"يلبغا" إلى الأمير"محمد بن الحسام"[ت٧٩٤هـ/١٣٩١م][xcvii] (شاد الدواوين)[xcviii], وأمر أن يستخلص منه عشرة آلاف درهم, ثم أفرج عنه بشفاعة الأمير "أحمد بن يلبغا الخاصكي" [ت٨٠٢هـ/١٤٠٠م][xcix], فشق ذلك على السلطان المنصور[c]. وتبين تلك الحادثة سيطرة الأمير "يلبغا" على زمام الأمور, وكذلك سطوته حتى على "المنصور" الذي أعيد للحكم مرة أخرى عقب خلع السلطان "برقوق"[٧٨٤–٧٩١هـ/١٣٨٢–١٣٨٨م], ويبدو أن "يلبغا" قد

وجد الأمر مناسبًا لتعيين ذلك الخياط في مثل تلك الوظيفة؛ لينتهز الفرصة ويستولي على أمواله؛ وذلك حبًّا في جمع المال ليس إلا, كما أن الحادثة تأتي في سياقها التاريخي كحادثة من حوادث العامة.

كما أقدم خياط يسمى: نجا بن تمساح بالفسق في صبي عمره نحو عشر سنين في بيت بالجزيرة الوسطى في[ربيع الآخر ٩٢٠هـ/مايو ١٥١٤م] ثم ذبحه وألقاه في بئر, فلما شاع أمره قبضت أم الصبي على الخياط, وعرضته على السلطان قانصوه الغوري, فاعترف بالقتل, فرسم بشنقه في المكان الذي قتل فيه الصبي, وقيل: رسم السلطان بأن تقطع محاشمه وتعلق في عنقه وهو مشنوق, ففعلوا به ذلك[ci]. وتبين تلك الحادثة قوة الدولة في أخذ الحق من القاتل, كما تبرز العقاب الشديد الذي تعرض له القاتل؛ حتى لا تسول نفسُ أحدٍ الإقدام على مثل ما أقدم عليه, وإن كان التنكيل بالقاتل هنا لكونه من عوام الناس وليس من المماليك, وبالرغم من أن هذه الحادثة كانت في أخريات الدولة؛ فقد تم التعامل معها بكل حزم, وكأن لسان الحال يقول: كما قال النبيﷺ: "إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا"[cii], فكان ذلك سببًا في انهيار الدولة.

حوادث السقائين:

وهم العاملون في إيصال مياه الشرب إلى المنازل بالقرب والروايا وأمثالهما[ciii]. ويدخل معهم السقاة العاملون في القصور السلطانية, وهم من إليهم أمر المشروب. وهو المعد للخدمة من إحضار وتقطيع اللحوم, وفرش ما يحتاج فرشه, والغالب أن يكونوا خدمًا من أي جنس كان[civ]. وكان يعمل بهذه الحرفة الكثير من الناس, فيقول طافور – رحالة زار القاهرة في القرن[التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي]: "وبالقاهرة عدد كبير من السقائين يروحون ويجيئون؛ لبيع المياه"[cv]. وذكر "جان ثونو" أن عدد السقائين بالقاهرة مائة ألف, كما سجل خمسين ألف جمل تحمل المياه إلى المنازل والشوارع[cvi].

فقد أُصيب أربعة سقائين أثناء إطفائهم لحريق شب في الصاغة العتيقة[cvii], ومات منهم اثنان في يوم الأربعاء[٢٦جمادى الأولى٧٩٨هـ/٧مارس١٣٩٦م][cviii]. وتشير هذه الحادثة إلى أن السقائين كان من ضمن أعمالهم الإضافية إخماد الحرائق, وأن إصابة أولئك الأربعة يمكن إدراجه تحت إصابات العمل.

كما فقد الطواشي[cix] مرجان الحسني- أحد السقاة وخواص الخدم- حياته أثناء محاولة إخماد حريق نشب في مركب الأمير يشبك الدويدار [ت٨٨٥هـ/١٤٨٠م][cx] في [جمادى الآخرة ٨٨٠هـ/أكتوبر ١٤٧٥م]؛ إذ وقع عليه الصاري[cxi] فمات من وقته[cxii]. ويمكن إدراج هذه الحادثة أيضًا ضمن إصابات العمل.

الخاتمة:

تطرق هذا البحث إلى دراسة وتتبع حوادث الحرفيين والصُّنَّاع في مصر والشام عَصْر المماليك الجراكسة[٧٨٤-٩٢٣هـ/١٣٨١-١٥١٧م], ويمكن عرض النتائج على النحو التالي:

١- إن المجتمع المصري كان زاخرًا بأرباب الحرف والصناعات, وعمائر ومنتجات العصر الباقية شاهدة على ذلك.

٢- إن حوادث الحرفيين والصناع تدل على نزعة الشر من خلق آدم-عليه السلام-, كما تدل على مظلومية البشر في مجتمع ساد فيه الظلم من قبل سلاطين المماليك.

٣- ازدهار أرباب الحرف والصناعات كان عاملًا لازدياد حوادث البشر، بالرغم من إهمال مصادر العصر لإيراد تلك الحوادث بشكل مباشر.

٤- استخدام المناهج الجديدة في استقصاء بواطن وظواهر المجتمع ساعدت على استقراء كثير من الحوادث في هذا العصر.

٥- ساعدت الكتابات الاجتماعية في هذا العصر على إبراز بعضٍ من حوادث أرباب الحرف والصناعات في مصر والشام في العصر الجركسي.

٦- جاءت مصر أكثر من الشام في عدد الحرف والصناعات التي تعرض أصحابها للحوادث, فقد وقعت في مصر نحو(٤٩) حادثةً, بنسبة(٧٢%) تقريبًا, بينما وقع في الشام نحو(١٩) حادثة, بنسبة(٢٨%) تقريبًا.

٧- احتلت حوادث إصابات العمل النسبة الأكبر في نوعية حوادث الحرفيين والصناع في مصر والشام خلال العصر الجركسي بنحو(٥١) حادثة, تمثل(٧٣%) تقريبًا من جملة الحوادث, بينما جاءت الحوادث في غير أوقات العمل بنحو(١٩) حادثة, تمثل(٢٧%) تقريبًا من جملة الحوادث.

٨- مثلت الحوادث التي تعرض لها عمال البناء في كل من مصر والشام العدد الأكبر من إجمالي الحوادث التي تعرض لها الحرفيين والصناع, فقد جاءت في نحو(١١٤)

حادثة, بنسبة(٥٢%) تقريبًا, وهذا يدل على أن عصر المماليك كان غنيًّا ومزدهرًا بالمنشآت المعمارية المختلفة, وجاء من أسباب وقوع الحوادث لأصحاب هذه الحرفة عدم أخذ الراحة, أو العمل بجد مبالغ فيه, أو العمل أثناء الطقس السيئ, إلى جانب الأخطاء الهندسية في بعض المنشآت المعمارية, وقدمها.

٩- جاءت حوادث الطباخين في المرتبة الثانية بنحو(٣٤) حادثة, بنسبة(١٦%) تقريبًا؛ وكانت بسبب تلوث الأطعمة بكثرة الغبار, وانتشار الذباب, وعدم الأمانة والنظافة.

١٠- احتلت حوادث صناع البارود المرتبة الثالثة بنحو(٢٣) حادثة, بنسبة(١٠%) تقريبًا؛ لعدم الحذر, فهي صناعات لها ارتباط بالمواد الحارقة.

١١- مثلت حوادث الجزارين المرتبة الرابعة بنحو(٢١) حادثة, بنسبة(٩%) تقريبًا؛ كان معظمها بسبب تدخل الدولة في بعض الأنظمة الاقتصادية الرقابية والمسيرة للأسواق, كنظام طرح البضائع, أو المبالغة في فرض الضرائب, أو المبالغة في استغلال بعض أصحاب الحرف والصناعات؛ مما أدى إلى شعور بعض الحرفيين والصناع بالظلم الشديد, فكانوا غالبًا ما يلقون حتفهم أثناء مقاومة تلك الأنظمة التعسفية.

١٢- جاءت حوادث البوابين والحراس والخفراء في المرتبة الخامسة بنحو(١٣) حادثة, بنسبة(٦%) تقريبًا, وهذا دليل على عدم استتباب الأمن في عصر المماليك الجراكسة؛ فقد ضعفت القبضة الأمنية, مما دفع الكثير من اللصوص إلى استغلال ذلك والقيام بجرائم السطو المسلح.

١٣- جاء من أسباب وقوع حوادث الحرفيين والصناع في عصر المماليك الجراكسة:

أ- الخلافات الشخصية, أو المادية بين العمال, أو بينهم والآخرين.

ب- الفقر والطمع والسرقة.

ت- الأمراض النفسية أو العقلية.

ث- تعرضهم لافتراس التماسيح, أو للدغ الحشرات, والثعابين, أو لدهس الفيلة.

ج- جشع بعض الحرفيين والصناع واستغلالهم الحالة الاقتصادية السيئة للمجتمع.

الملاحق:

الجدول رقم(١) (من عمل الباحث)

الحرفة أو الصنعة		السبب	المكان	التاريخ	النتيجة والضحايا
أولًا – حوادث صناع البارود		إصابة عمل	مصر	ربيع الآخر ٩١٩هـ/يونيو ١٥١٣م	الموت ٣
				١٠صفر ٩٢٠هـ/٦ أبريل ١٥١٤م	الموت ٢٠
ثانيًا – حوادث عمال البناء	فعلة	إصابة عمل	مصر	شعبان ٧٨٦هـ/سبتمبر ١٣٨٤م	الموت ١٠٠
	بناء		الشام	٢٧شوال ٨٠٦هـ/٨مايو ١٤٠٤م	الموت ١
	تراب	السُّكْر		المحرم ٨١٣هـ٢٦مايو ١٤١٠م	الموت ١
	فعلة	إصابة عمل	مصر	ربيع الآخر ٨٢٠هـ/يونيو ١٤١٧م	مات ٤, وتكسر ٦
	بناء		الشام	شعبان ٨٥٩هـ/مارس ١٣٠٥م	الموت ١
	معماري			رمضان ٨٨٤هـ/ديسمبر ١٤٧٩م	الموت ١
	دهان			شوال ٨٨٥هـ/ديسمبر ١٤٨٠م	الموت ١
	جباسين		مصر	المحرم ٨٩٤هـ/ديسمبر ١٤٨٨م	إصابة وقتل
	طيان		الشام	ذي القعدة ٨٩٤هـ/أكتوبر ١٤٨٩م	الموت ١
	فعلة		مصر	ذي الحجة ٨٩٤هـ/أكتوبر ١٤٨٩م	الموت(لم يُعلم)
	حجارين			ذي القعدة ٨٩٩هـ/أغسطس ١٤٩٤م	الموت(لم يُعلم)
	فاعل	حرق دريس		ذي القعدة ٩١٢هـ/مارس ١٥٠٧م	قطع أطراف ١
	تراب	شجار	الشام	جمادى الآخر ٩١٨هـ/أغسطس ١٥١٢م	جرح في الرأس ١

الحرفة أو الصنعة		السبب	المكان	التاريخ	النتيجة والضحايا
ثالثًا –حوادث البوابين والحراس والخفراء	بوابين	مقاومة لصوص	مصر	ذي القعدة ٨٨٠هـ/فبراير ١٤٧٦م	الضرب(لم يُعلم)
	بواب		الشام	٢ شوال٨٨٥هـ/٥ ديسمبر ١٤٨٠م	الجرح ١
			مصر	جمادى الأولى٨٨٧هـ/يونيو ١٤٨٢م	الموت قتلاً ١
				ربيع الآخر ٨٩١هـ/أبريل١٤٨٦م	الموت قتلاً ١
		إصابة عمل		ذي الحجة٨٩٢هـ/نوفمبر ١٤٨٧م	الموت ١
	حراس	مقاومة لصوص		ربيع الأول٩٠٠هـ/نوفمبر ١٤٩٤م	القتل(لم يُعلم)
	خفير			شعبان٩٠٢هـ/أبريل١٤٩٧م	الموت قتلاً ١
	خفراء			ذي القعدة ٩٠٥هـ/مايو ١٥٠٠م	الموت قتلاً ٣
	خفير			صفر٩٠٨هـ/أغسطس١٥٠٢م	الموت قتلاً ١
	بواب		الشام	جمادى الأولى٩١٠هـ/أكتوبر١٥٠٤م	الموت قتلاً ١
				١رمضان٩١٠هـ/٥ فبراير١٥٠٥م	الموت خنقاً ١
	حارس			١٤رمضان٩١٣هـ/١٧يناير١٥٠٨م	الموت قتلاً ١
	خفير		مصر	جمادى	الموت قتلاً

الحرفة أو الصنعة		السبب	المكان	التاريخ	النتيجة والضحايا
				الآخر ٩١٨هـ/سبتمبر ١٥١٢م	١
رابعًا – حوادث الجزارين		ظلم الإدارة	مصر	رجب ٨٢٦هـ/يونيو ١٤٢٣م	غرق ٢٠
		إيذاء هر		رجب ٨٥٥هـ/أغسطس ١٤٥١م	جرح وتغريم ١
خامسًا – حوادث الخياطين	حائك	مقاومة الظلم	مصر	ربيع الآخر ٨٧١هـ/نوفمبر ١٤٦٦م	الموت ضرباً ١
	دلالان	المنافسة في العمل		ذي القعدة ٨٨٩هـ/نوفمبر ١٤٨٤م	قتل١, وسجن١
	خياط	ظلم الإدارة		٨رجب ٧٩١هـ/٣يوليو ١٣٨٩م	ضرب ومصادرة١
		فسقه بصبي		ربيع الآخر ٩٢٠هـ/مايو ١٥١٤م	الشنق ١
سادسًا – حوادث السقائين		إصابة عمل	الشام	جمادى الأولى٧٩٨هـ/مارس١٣٩٦م	مات٢, وحرق٢
			مصر	جمادى الآخر ٨٨٠هـ/أكتوبر ١٤٧٥م	وقع عليه صاري١
سابعًا – حوادث الصيادين		مقاومة الظلم	مصر	ذي الحجة ٨٢٠هـ/يناير ١٤١٨م	قتل١, وجرح٣
		إصابة عمل		جمادى الآخر ٨٢٥هـ/مايو ١٤٢٢م	افتراس تمساح١
ثامنًا – حوادث الطباخين	طباخ	اتهامه بالتسميم	مصر	ربيع الأول٨٤٣هـ/سبتمبر ١٤٣٩م	مات٧ ومرض٣٣

الحرفة أو الصنعة		السبب	المكان	التاريخ	النتيجة والضحايا
		باع لحم بغل		صفر ٨٧٠هـ/سبتمبر ١٤٦٥م	ضرب وتشهير ١
		غير محدد	الشام	جمادى الآخر ٨٩٣هـ/مايو ١٤٨٨م	القتل نبحاً ١
	كنفاني	تسميم الزبائن	مصر	جمادى الآخر ٨٩٥هـ/أبريل ١٤٩٠م	الاتهام بالقتل ١
	طباخ	غير معروف	الشام	ربيع الأول ٩٠٦هـ/سبتمبر ١٩٠٠م	القتل ١
	طباخة	شرارة من النار	مصر	المحرم ٩١٣هـ/مايو ١٥٠٧م	أضرار مادية
تاسعًا – حوادث العَتَّالين		الشجار	مصر	ربيع الآخر ٨١٩هـ/يونيو ١٤١٦م	القبض ١
		أثناء نقل مكحلة		جمادى الآخر ٩١٦هـ/سبتمبر ١٥١٠م	وقوع مكحلة عليه ١
عاشرًا – حوادث القَرَّانين		إصرار الصيام	مصر	رمضان ٨٩٤هـ/يوليو ١٤٨٩م	الموت عطشاً ١
		خلاف مع صبي		ذي القعدة ٩١٣هـ/مارس ١٥٠٨م	القتل ١ وهرب ١
أحد عشر – حوادث القَبَّانيين		السقوط	الشام	ت٧٨٨هـ/١٣٨٦م	العرج ١
		قتل أحد العبيد	مصر	جمادى الآخر ٨٤٣هـ/نوفمبر ١٤٣٩م	تشهير ثم قتل ١
		السباحة ليلاً		شعبان ٨٩١هـ/أغسطس ١٤٨٦م	الموت غرقاً ١

الحرفة أو الصنعة		السبب	المكان	التاريخ	النتيجة والضحايا
اثنا عشر – حوادث المزينين		اتهامه بالتسميم	مصر	ربيع الآخر ٨٢٢هـ/أبريل١٤١٩م	الجرح ١
		الجنون		ذي القعدة ٨٨٩هـ/نوفمبر١٤٨٤م	ذبح نفسه ١
ثالث عشر – حوادث المغربلين		التزوير	مصر	١٨صفر٨٥٩هـ/٧ فبراير١٤٥٥م	ضرب وسجن ١
				المحرم٨٦١هـ/ديسمبر١٤٥٦م	ضرب وتشهير١
		السرقة		شعبان٩١٦هـ/ديسمبر ١٥١٠م	ضرب ثم موت١
رابع عشر – حوادث النجارين		السقوط	مصر	شوال٨٧٦هـ/مارس٤٧٢م	الموت ١
		ثرثرة جمال	الشام	١٥صفر٩١٧هـ/١٤مايو١٥١١م	القتل ١
خامس عشر – حوادث العمال الآخرين	أقسماوي لحام	خلاف مادي	مصر	رمضان٨٣٦هـ/أبريل١٤٣٣م	خنق أحدهما ١
	مُسحرين	خلاف عمل			موت أحدهما ١
	سائس فيل	إصابة عمل		٥ المحرم٨٥٠هـ/٢أبريل١٤٤٦م	دهس الفيل ١
	صانع جريد	مقاومة الظلم		ذي القعدة ٨٦٢هـ/سبتمبر١٤٥٨م	ضرب وموت ١
	جرائحي	إصابة عمل		جمادى الآخر٨٧٨هـ/أكتوبر١٤٧٣م	الموت ١
	حاوي				لدغاً ١
	مشاعلي	لا يُعلم		رجب٨٩١هـ/يوليو١٤٨٦م	القتل ١

الحرفة أو الصنعة		السبب	المكان	التاريخ	النتيجة والضحايا
	جَمَّال	التهاون	الشام	ربيع الآخر ٨٩٥هـ/مارس ١٤٩٠م	تعذيب ثم موت١
	صانع حمام	إصابة عمل		رجب ٨٩٩هـ/أبريل ١٤٩٤م	الموت ١
	قباقبيان	مقاومة الظلم		رمضان ٩١٠هـ/فبراير ١٥٠٥م	القتل ٢
	نواتي		مصر	المحرم ٩١٣هـ/مايو ١٥٠٧م	الموت ضرباً ١

الحواشي:

(i) مُحَمَّد عِمَارة: قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية, دار الشروق, بيروت, ١٤١٣هـ/١٩٩٣م صـ٣٩.

(ii) المَقْرِيزِي، تقي الدِّين أحمد بن عَلِي[ت٨٤٥هـ/١٤٤٢م]: إغاثة الأمة بكشف الغمة, تحقيق: كرم فرحات, مركز عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية, الجيزة, ١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م, صـ١٤٧.

(iii) احتلت حوادث صناع البارود المرتبة الثالثة بنحو(٢٣) حادثة, بنسبة(١٠%) تقريبًا؛ لعدم الحذر, فهي صناعات لها ارتباط بالمواد الحارقة, وهذا ما يوضحه الجدول رقم(١), والتخطيط رقم(٢) في الملاحق.

(iv) صفاء عبد الله عبد الرءوف سعيد الهندي: تقنية الأسلحة الأيوبية والمملوكية وتطورها[القرن٦-١٠هـ/١٢-١٦م], رسالة ماجستير في الآثار, كلية الدراسات العليا, الجامعة الأردنية, ٢٠٠١م, صـ٥, ٧.

(v) الزردخانة: لفظ فارسي مركب, وهو المكان المخصص لحفظ السلاح والعتاد الحربي، وقد تطلق على السلاح نفسه. محمد أحمد دهمان: مُعْجَم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي, دار الفكر المعاصر, بيروت, دار الفكر, دِمَشْق, ١٤١٠هـ/١٩٩٠م, صـ٨٦.

(vi) ابن إياس، محمد بن أحمد بن إياس الحَنَفِي[ت٩٥٠هـ/١٥٢٣م]: بَدَائِع الزُّهُور في وقائع الدُّهُور، تحقيق: محمد مصطفي, فرانز شتاينز, فيسبادن, ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م, جـ٤ صـ٣١٤.

(vii) ابن إياس: بَدَائِع الزُّهُور, جـ٤ صـ٣٦٦.

(viii) مثلت حوادث عمال البناء في مصر والشام العدد الأكبر من إجمالي الحوادث, فقد جاءت في نحو(١١٤) حادثة, بنسبة(٥٢%) تقريبًا, وهذا يدل على أن عصر المماليك كان غنيًّا ومزدهرًا بالمنشآت المعمارية المختلفة, وجاء من أسباب وقوع الحوادث لأصحاب هذه الحرفة عدم أخذ الراحة, أو العمل بجد مبالغ فيه, أو العمل أثناء الطقس السيئ, أو نتيجة الأخطاء الهندسية في بعض المنشآت المعمارية, وقدمها, وهذا ما يوضحه الجدول رقم(١), والتخطيط رقم(٢) في الملاحق.

(ix) الترابية: هم محترفو العمل في نقل الأتربة, عمارة: قاموس المصطلحات الاقتصادية, صـ١١٨.

(x) الجباسين: هم صناع الجبس وبائعوه. عمارة: قاموس المصطلحات الاقتصادية, صـ١٤١.

(xi) ذكر ابن إياس أن عددهم كان نحو مائة فاعل. بَدَائِع الزُّهُور, جـ١ ق٢ صـ٣٤٩.

(xii) المقريزي: السُّلُوك لمعرفة دول المُلوك, تحقيق: محمد عبد القادر عطا, دار الكتب العلمية, بيروت, ١٤١٨هـ/١٩٩٧م, جـ٥ صـ١٦٧؛ أبو المحاسن، جمال الدين يُوسُف بن تغري بردي الأتابكي[ت٨٧٤هـ/١٤٧٠م]: النُّجُوم الزَّاهِرَة في مُلوك مصر والقاهرة, تحقيق: محمد حُسَين شمس الدين, دار الكتب العلمية, بيروت, ١٤١٣هـ/١٩٩٢م, جـ١١ صـ١٩٧؛ ابن الصَّيرَفِي, الخطيب الجَوهَرِي عَلِي بن داود[ت٩٠٠هـ/١٤٩٥م]: نُزْهَة النفوس والأبدان في تواريخ الزَّمَان, تحقيق: حَسَن حبشي, الهيئة المصرية للكتاب, القاهرة, ١٩٧١م, جـ١ صـ١٠١.

(xiii) درابزين: كلمة فارسية تعريبها: جلفق, وهي: قوائم متتابعة من حجر أو حديد أو خشب يعلوها امتداد طولِي، يُوضَع على جانبي السُّلّم؛ للحماية من السُّقوط. الفيروزبادي، مجد الدِّين مُحَمَّد بن يعقوب

[ت٨١٧هـ/١٤١٤م]: القاموس المُحيط, مؤسسة الرسالة, بيروت, ط٨, ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م, ص٨٧٢؛ أحمد مختار عبد الحميد: معجم اللغة العربية المعاصرة, عالم الكتب, القاهرة, ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م, ج١ ص٧٣٣؛ أحمد رضا: معجم متن اللغة, مكتبة الحياة, بيروت, ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م, ج٢ ص٣٩٤.

(xiv) المقصورة: حاجز خشبي يكون بأعمدة وقضبان خشبية مخروطة, يوضع في المسجد حول المنبر والمحراب يصلي فيها السلطان وجماعته؛ خوف اغتياله. ابن كنَّان, محمد بن عيسى بن محمود[ت١١٥٤هـ/ ١٧٤١م]: حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين, تحقيق: عباس صباغ, دار النفائس, بيروت, ١٤١٢هـ/١٩٩١م, ص٦١, ٦٢؛ دهمان: مُعْجَم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي, ص١٤٣.

(xv) ابن حِجّي, شهاب الدِّين أحمد بن حِجّي السَّعْدِي الدِّمَشْقِي[ت٨١٦هـ/١٤١٣م]: تاريخ ابن حِجّي (حوادث ووفيات٧٩٦-٨١٥هـ), تحقيق: عبد الله الكندري، دار ابن حزم, بيروت, ١٤٢٤هـ/2003م, مج٢ ص٦٢٨؛ ابن قاضي شهبة, تقي الدِّين أبو بكر بن أحمد الأسدي الدِّمَشْقِي[ت٨٥١هـ/١٤٤٧م]: تاريخ ابن قاضي شُهْبَة, تحقيق: عدنان درويش, المعهد الفرنسي للدراسات العربية, دِمَشْق, ١٩٩٧م, ج٤ ص٣٥٩.

(xvi) القيم: تعني: المدير، المدبر، الناظر، السائس, وأمين الخزانة. رنهارت بيتر آن دوزي: تكملة المعاجم العربية, ترجمة: محمد سليم النعيمي, دار آفاق عربية, بغداد, ١٩٩٧م, ج٨ ص٤٢٣.

(xvii) صالحية دمشق: مدينة في سفح جبل قاسيون، ذات بيوت وجنان ومدارس وربط وترب جليلة وعمائر ضخمة ومارستان وأسواق جليلة، وجميع الصالحية مشرفة على دمشق. العُمَرِي, ابن فضل الله شهاب الدِّين أحمد بن يَحْيَى[ت٧٤٩هـ/١٣٤٩م]: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار, تحقيق: كامل سليمان الجبوري, دار الكتب العلمية, بيروت, ٢٠١٠م ج٣ ص٣٥٧.

(xviii) المقريزي: السلوك, ج٦ ص٢٥٧, ٢٥٨؛ ابن شاهين, زين الدِّين عبد الباسط بن خليل الظَّاهِري الحَنَفِي[ت٩٢٠هـ/١٥١٥م]: نَيل الأَمَل في ذَيل الدُّوَل, تحقيق: عُمَر عبد السلام تدمري, المكتبة العصرية, صيدا وبيروت, ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م, ج١ ق٣ ص١٩٣.

(xix) المقريزي: السلوك, ج٦ ص٤٣٤؛ ابن حجر, شهاب الدِّين أحمد بن عَلِي بن محمد العَسْقَلاني [ت٨٥٢هـ/١٤٤٩م]: إنباء الغُمْر بأبناء العُمْر, تحقيق: حَسَن حبشي, المجلس الأعلى للشئون الإسلامية, القاهرة, ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م, ج٣ ص١٣٩؛ ابن الصَّيرَفِي: نُزْهَة النفوس والأبدان, ج٢ ص٤٠١؛ ابن شاهين: نَيل الأَمَل, ج١ ق٣ ص٣٢٤.

(xx) الجامع المؤيدي: هذا الجامع بجوار باب زويلة من داخله. المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار, دار الكتب العلمية, بيروت, ١٤١٨هـ, ج٤ ص١٤٢.

(xxi) ابن شاهين: نَيل الأَمَل, ج١ ق٣ ص٢٩٩.

(xxii) البقاعي, إبراهيم بن عُمَر بن حَسَن الرُباط الشَّافِعِي[ت٨٨٥هـ/١٤٨٠م]: إظهار العصر لأسرار أهل العصر, تحقيق: محمد سالم بن شديد العوفي, الرياض, ١٤١٢هـ/١٩٩٢م, ق٢ ص١٢٣, ١٢٤.

(xxiii) مشهد المؤذنين: كما يعرف بمشهد عثمان. النعيمي، عبد القادر محمد الدمشقي[ت٩٢٧هـ/١٥٢١م]: الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق: إبراهيم شمس الدين, دار الكتب العلمية, بيروت, ١٤١٠هـ/١٩٩٠م, جـ٢ صـ٣٠٦.

(xxiv) ابن الحمصي, شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر[ت٩٣٤هـ/١٥٢٧م]: حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران, تحقيق: عمر عبد السلام تدمري, المكتبة العصرية, صيدا وبيروت, ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م, جـ١ صـ١٥٢.

(xxv) ابن طولون, شمس الدين محمد بن علي بن خمارويه[ت٩٥٣هـ/١٥٤٦م]: مفاكهة الخلان في حوادث الزمان, تحقيق: خليل منصور, دار الكتب العلمية, بيروت, ١٤١٨هـ/١٩٩٨م, ق١ صـ٢٧.

(xxvi) ابن شاهين: نَيل الأَمَل, جـ٢ ق٨ صـ١٣٨.

(xxvii) السويقة المحروقة: السويقة: تصغير للسوق, وتعني تجمعًا سكنيًّا صغيرًا خارج المدينة, يضم سوقًا صغيراً ومسجد وحمام, وأطلقت على العديد من الأماكن في دمشق, منها حي السويقة المحروقة على طريق الميدان. قتيبة الشهابي: معجم دمشق التاريخي, منشورات وزارة الثقافة, دمشق, ١٩٩٩م, جـ٢ صـ٥٩.

(xxviii) ابن طولون: مفاكهة الخلان, ق١ صـ٩٣.

(xxix) ابن شاهين: نَيل الأَمَل, جـ٢ ق٨ صـ١٦٤, ١٦٥.

(xxx) ابن إياس: بَدَائِع الزُّهُور, جـ٣ صـ٢٩٨.

(xxxi) هو الأمير طرباي الشريفي: باشر إمرة الحج المصري, وتوفي بالقاهرة الجمعة[٦المحرم٩١٧هـ/٥ أبريل١٥١١م]. ابن الحمصي: حوادث الزمان, جـ٣ صـ٤٦٧؛ ابن إياس: بَدَائِع الزُّهُور, جـ٤ صـ٢٠٨, ٢٠٩.

(xxxii) رأس نوبة النوب: وهو أول من يدخل على الملك من الأمراء الكبار, وله الأمر على جميع المماليك السلطانية من كبير وصغير, وإليه المرجع في المشورة عليهم, والحكم فيهم, وهو السفير بينهم والملك في بلوغ المقاصد, وهو القائم على مسك من يؤمر بمسكه. ابن كنان: حدائق الياسمين, صـ١١٨.

(xxxiii) الـدِّرِيس: هـو البرسيم الأخضـر بعـد تجفيفـه؛ ليكـون طعامًـا للماشـية صـيفًا. عمـارة: قـاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية, صـ٢١٧.

(xxxiv) درب الخازن: كان ملاصقًا لسور المدرسة الصالحية الحنبلية. المقريزي: الخطط, جـ٣ صـ٧٥.

(xxxv) المقرعة: خشبة تضرب بها الدابة. الزَّبِيدِي, مرتضى محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق [ت١٢٠٥هـ/١٧٩٠م]: تاج العَرُوس من جواهر القَامُوس, تحقيق: ضاحي عبد الباقي, المجلس الوطني للثقافة, الكويت, ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م, فصل القاف مع العين, مادة(قرع).

(xxxvi) ابن إياس: بَدَائِع الزُّهُور, جـ٤ صـ١٠٧, ١٠٨.

(xxxvii) هو الأمير سيباي: سيباي بن بختجا, كان أميرًا للسلاح بمصر، قُتل بمرج دابق في[شعبان٩٢٢هـ/ أغسطس١٥١٦م]. ابن إياس: بَدَائِع الزُّهُور, جـ٥ صـ٧٧؛ ابن المبرد, جمال الدين يوسف بن حسن بن عبد الهادي الصالحي الدمشقي[ت٩٠٩هـ/١٥٠٣م]: ثمار المقاصد في ذكر المساجد, تحقيق: محمد أسعد طلس, المعهد الفرنسي بدمشق, بيروت, ١٣٦١هـ/١٩٤٣م, صـ٢٢٨.

(xxxviii) والي القلعة: هو المتحدث على باب القلعة, وعليه فتحه وغلقه, وعليه دركه, وله جماعة من تحت أمره, يصرفهم فيما يختاره. ابن كنان: حدائق الياسمين, صـ١٣٢.

(xxxix) ابن الحمصي: حوادث الزمان, جـ١ صـ٤٨٦.

(xl) جاءت حوادث البوابين والحراس والخفراء في المرتبة الخامسة بنحو(١٣) حادثة, بنسبة(٦%) تقريبًا, وهذا دليل على عدم استتباب الأمن في عصر المماليك الجراكسة, فقد ضعفت القبضة الأمنية, مما دفع الكثير من اللصوص إلى السطو المسلح, وهذا ما يوضحه الجدول رقم(١), والتخطيط رقم(٢) في الملاحق.

(xli) فايز نجيب إسكندر: مصر في كتابات الحجاج الروس في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين, دار الفكر الجامعي, الإسكندرية, ١٩٨٨م, صـ٢٤- ٢٨.

(xlii) فايز نجيب إسكندر: زمن المماليك الجراكسة في عيني الرحالة الفرنسي جان ثونو[مارس١٥١٢م/ المحرم٩١٨هـ], دراسة تحليلية نقدية مقرنة بمصادر الرحالة الأوربيين المعاصرين, المؤتمر الدولي الثالث لكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة قناة السويس بعنوان: "العلاقات المصرية الفرنسية عبر العصور", الإسماعيلية, ٢٠١١م, صـ٢٥٩.

(xliii) الواحية: يبدو أنها ترجع إلى الواحات في الصحراء الغربية, وقد ذكرها ابن إياس بالألواحية. بدائع الزهور, جـ٣ صـ١١١.

(xliv) الدهيشة: شيء من البناء لم يتبين معناه. عمرها السلطان الصالح إسماعيل سنة[٧٤٥هـ/١٣٤٤م]؛ تقليدًا للمؤيد صاحب حماه؛ لأنه عمر بها دهيشة عظيمة، فقصد مضاهاته، وقد بلغ مصروفها خمسمائة ألف درهم. وقد ذكر المقريزي دهيشة غيرها في دار فتح الله بن معتصم- رئيس الأطباء- بخط سويقة المسعودي, ولكن الدهيشة المقصودة هنا هي المذكورة أولًا؛ كونها بقلعة الجبل وبالقرب من خزانة الخاص التي تعرضت للسرقة, والمقريزي: الخطط, جـ٣ صـ٣٦٩, ٣٧٠؛ أحمد تيمور باشا: أعلام المهندسين في الإسلام, دار الكتاب العربي, القاهرة, ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م, صـ٩٦.

(xlv) خزانة الخاص السلطانية: وكان مقرها بقلعة الجبل. المقريزي: الخطط, جـ٣ صـ٣٥٨.

(xlvi) ابن شاهين: نَيل الأَمَل, جـ٢ ق٧ صـ١٥٠؛ ابن إياس: بَدَائِع الزُّهُور, جـ٣ صـ١١١.

(xlvii) ابن طولون: مفاكهة الخلان, ق١ صـ٢٦.

(xlviii) قيسارية جهاركس: تقع بالقاهرة, تنسب للأمير فخر الدين إياز جهاركس بن عبد الله الصلاحي [ت٦٠٧هـ/١٢١٠م]. ابن خِلِّكَان، أبو العَبَّاس أحمد بن محمد[ت٦٨١هـ/١٢٨١م]: وَفَيَات الأعيان وأنباء أبناء الزَّمَان، تحقيق: إحسان عَبَّاس، دار الثقافة, بيروت, ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م, جـ١صـ٣٨١؛ الذَّهَبِي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الدِّمَشْقِي[ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م]: تاريخ الإسلام, تحقيق: عُمَر عبد السلام تدمري, دار الكتاب العربي, بيروت, ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م, جـ٤٣ صـ٢٩٠, ٢٩١.

(xlix) ابن إياس: بَدَائِع الزُّهُور, جـ٣ صـ١٩٠.

(l) المنسر: خيل عددها من المائة إلى المائتين, واشتهر المنسر في العصر المملوكي بجماعة اللصوص الذين كانوا يدخلون البلدة شاهرين ورافعين السلاح إلى الأسواق الغنية فيسلبونها وينهبونها ثم يخرجون سالمين. دهمان: مُعْجَم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي, صـ١٤٥.

(li) باب الشعرية: يعرف بطائفة من البربر قدموا من المغرب الإسلامي. المقريزي: الخطط, جـ٢ صـ٢٤٤.

(lii) ابن شاهين: نَيل الأَمَل, جـ٢ ق٨ صـ٢٦؛ ابن إياس: بَدَائِع الزُّهُور, جـ٣ صـ٢٢٣.

(liii) الجامع الجديد الناصري: كان على شاطئ النيل من ساحل مصر الجديد، عمره القاضي فخر الدين محمد بن فضل الله ناظر الجيش باسم السلطان الناصر محمد بن قلاون، وشرع في بنائه[٩ المحرم٧١١هـ/ ٢٨مايو١٣١١م]، وانتهت عمارته في[٨ صفر٧١٢هـ/١٥يونيو١٣١٢م]. المقريزي: الخطط, جـ٤ صـ١٠٢.

(liv) ابن شاهين: نَيل الأَمَل, جـ٢ ق٨ صـ٨٩, ٩٠؛ ابن إياس: بَدَائِع الزُّهُور, جـ٣ صـ٢٤٠.

(lv) الأدراك: من الدَّرَك, ومن معانيه: حماية الأطراف, أو ثغور الدولة. عمارة: قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية, صـ٢١٤.

(lvi) باب اللوق: بساتين مجاورة لجامع الطباخ المطل على بركة الشقاف إلى ما بعد سنة[٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م] بمدة، وكان بابًا كبيرًا عليه طوارق حربية مدهونة، فلما أنشأ القاضي صلاح الدين بن المغربي قيساريته التي بباب اللوق، وجعلها لبيع غزل الكتان، هدم هذا الباب وجعله في الركن من جدار القيسارية القبلي. المقريزي: الخطط, جـ٣ صـ٢١٠, ٢١٣.

(lvii) ابن إياس: بَدَائِع الزُّهُور, جـ٣ صـ٢٩٩.

(lviii) سوق أمير الجيوش: كان يقع فيما بين حارة برجوان وحارة بهاء الدين، كانت تعرف بسوق الخروقيين، وهو من أكبر أسواق القاهرة، وكان يباع في هذا السوق سائر الثياب المخيطة والأمتعة من الفرش ونحوها. المقريزي: الخطط, جـ٣ صـ١٨٣.

(lix) ابن إياس: بَدَائِع الزُّهُور, جـ٣ صـ٣٥٠.

(lx) سوق الوراقين: كان يعرف بخط القصر النافعي، ثم عرف بخط سوق الوراقين، ثم بدرب الحبيشي، وهو الأمير سيف الدين بلبان الحبيشي أحد الأمراء الظاهرية بيبرس. المقريزي: الخطط, جـ٣ صـ٧٦.

(lxi) سوق المهامزيين: استجد بعد زوال الدولة الفاطمية، ويقابله المارستان والوكالة ودار الضرب، وهذا السوق معد لبيع المهاميز. المقريزي: الخطط, جـ٣ صـ١٧٧, ١٧٨.

(lxii) ابن إياس: بَدَائِع الزُّهُور, جـ٣ صـ٤٢٥.

(lxiii) قنطرة الحاجب: كانت على الخليج الناصري، أنشأها الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب سنة[٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م]، وأسند إليها جسرًا يحجز بين بركة الحاجب– بركة الرطلي– وبين الخليج الناصري، وكان على ظهر القنطرة صفان من حوانيت، وعليها سقيفة تقي حر الشمس. المقريزي: الخطط, جـ٣ صـ٢٦٨.

(lxiv) الجسر الذي بجوار بركة الرطلي: هذا الجسر يفصل بين بركة الرطلي وبين الخليج الناصري، أقامه الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب سنة[٧٢٥هـ/١٣٢٤م] لما انتهى حفر الخليج الناصري، وأذن للناس في البناء عليه، فبنيت فوقه الدور، وصارت تشرف على بركة الرطلي والخليج، وتجتمع العامة تحت مناظر الجسر

وتمر بحافة الخليج للنزهة، فكثر اغتياظ غوغاء الناس وفساقهم بهذا الجسر، وهو من أنزه فرج القاهرة لولا ما عرف به من القاذورات الفاحشة. المقريزي: الخطط, جـ٣ صـ٢٩٣.

(lxv) والي القاهرة: ويكون من أرباب السيوف, ويطلق عليه أيضًا صاحب الشرطة, وهو أحد ثلاثة ولاة في مصر – والثاني والي الفسطاط, والثالث والي القرافة – ووالي القاهرة أعلاهم رتبة وعادته إمرة طبلخاناه. القَلْقَشَنْدِي, أبو العَبَّاس أحمد بن عَلِي بن أحمد القاهري[ت٨٢١هـ/١٤١٨م]: صُبْح الأعشى في صناعة الإنشا, دار الكتب المصرية, القاهرة, ١٣٣٢هـ/١٩١٤م, جـ٤ صـ٢٣.

(lxvi) التسمير: عقوبة شديدة متنوعة التطبيق, كإدخال المسامير في العين, وعاقب بها النَّبِيﷺ قصاصًا قبل نزول الحدود, أو وضع الشخص على خشبة عريضة مثبت فيها مسامير, وغالبًا يموت من يعاقب بها. البخاري, محمد بن إسماعيل الجعفي[ت٢٥٦هـ/٨٧٠م]: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول اللهﷺ وسننه وأيامه, تحقيق: محمد زهير, دار طوق النجاة, بيروت, ١٤٢٢هـ, كتاب الطب, باب الدَّوَاءِ بِأَبْوَالِ الإِبِلِ, رقم٥٦٨٦؛ النُّويري, شهاب الدِّين أحمد بن عبد الوهاب[ت٧٣٣هـ/١٣٢٣م]: نهاية الأَرَب في فنون الأدب, تحقيق: إبراهيم شمس الدين, دار الكتب العلمية, بيروت, ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م, جـ٣٣ صـ٣١١.

(lxvii) التوسيط: شكل من أحكام الإعدام, وطريقته بأن يعرى الشخص من الثياب, ثم يشد إلى خشبة مطروحة على الأرض ويضرب بالسيف تحت سرته بقوة فتقسم جسمه نصفين. دهمان: مُعْجَم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي, صـ٤٨.

(lxviii) ابن إياس: بَدَائِع الزُّهُور, جـ٤ صـ٣٩, ٤٠.

(lxix) ابن طولون: ذيل إعلام الورى بمن ولي نائبًا من الأتراك بدمشق الشام الكبرى, تحقيق: محمد أحمد دهمان, دار الفكر, دمشق, ط٢, ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م, صـ١٨١؛ مفاكهة الخلان, ق١ صـ٢٢٧.

(lxx) قيسارية الخواجة ابن الرسام: كانت في باب البريد, بجوار المدرسة الطبرية. قتيبة الشهابي: معجم دمشق التاريخي, جـ٢ صـ١٣٥.

(lxxi) ابن طولون: مفاكهة الخلان, ق١ صـ٢٣١.

(lxxii) الشويكة: محلة قبلي باب السريجة, قرب محلة قبر عاتكة, أصلها قرية يمانية دارسة, تعرف بالحميريين, ثم تحولت التسمية إلى بوابة الشويكة, واختصر إلى الشويكة. قتيبة الشهابي: معجم دمشق التاريخي, جـ٢ صـ٦٧.

(lxxiii) محلة قبر عاتكة: يعرف اليوم بحي قبر عاتكة وهو من أحياء دمشق الجنوبية, وكان اسمه في السابق قصر عاتكة, ونسبته إلى عاتكة بنت الخليفة يزيد بن معاوية, واليوم زال القصر وبقي القبر فعرفت المحلة به. قتيبة الشهابي: معجم دمشق التاريخي, جـ١ صـ٢٢٠.

(lxxiv) ابن طولون: مفاكهة الخلان, ق١ صـ٢٥٩.

(lxxv) الزريبة: من إنشاء السلطان الناصر محمد بن قلاون, وذلك لما وهب البستان الذي كان بالميدان الظاهري للأمير قوصون أنشأ قدامه على النيل زريبة، ووقفها، فعمر الناس هناك حتى انتظمت العمارة من

حكر ابن الأثير إلى الزريبة، وعمر هناك حمام وسوق كبير، وطواحين وعدة مساكن اتصلت باللوق. المقريزي: الخطط, جـ٣ صـ٢٣٥.

(lxxvi) المقاصف: هو مكان يخصص لتناول الطعام والشراب. أحمد مختار: معجم اللغة العربية المعاصرة, جـ٣ صـ١٨٢٥.

(lxxvii) ابن إياس: بَدَائِع الزُّهُور, جـ٤ صـ٢٧٩, ٢٨٠.

(lxxviii) قاسم عبده قاسم: أسواق مصر في عصر المماليك, مكتبة سعيد نشأت, القاهرة, ١٩٧٨م, صـ٦٠.

(lxxix) مثلت حوادث الجزارين المرتبة الرابعة بنحو(٢١) حادثة, بنسبة(٩%) تقريبًا؛ كان معظمها بسبب تدخل الدولة في بعض الأنظمة الاقتصادية الرقابية والمسيرة للأسواق, كنظام طرح البضائع, أو المبالغة في فرض الضرائب, أو المبالغة في استغلال بعض أصحاب الحرف والصناعات, أدى إلى شعور بعض الحرفيين والصناع بالظلم الشديد, فكان غالبًا ما يلقون حتفهم أثناء مقاومة تلك الأنظمة التعسفية, وهذا ما يوضحه الجدول رقم(١), والتخطيط رقم(٢) في الملاحق.

(lxxx) الأُسْتَادار: هو متولي شئون الدار, وهو منصب عام في الدواوين السلطانية, وتعني: رئيس شئونها, وفي اللغة: المعلم والمقرئ والمدير والعالم وأستاذ الصناعة, واصطلاحًا: السيد. عمارة: قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية, صـ٤٤.

(lxxxi) هو الأمير أرغون شاه: الحافظي ويقال له: المحمودي, عمل في أستدارية أستاذه, فلما انقضت أيامه صودر, ثم ولي الوزارة, ثم قبض عليه وعوقب, ثم ولاه الأشرف الأستادراية مرة بعد أخرى, ثم أضيفت إليه الوزارة أيضًا, ثم عزل عنهما وصودر ثم أفرج عنه بطالًا, ثم استقر في أستادارية السلطان بدمشق حتى مات في[١١رجب٨٤٠هـ/١٩يناير١٤٣٧م]، وكان أعور طوالًا مسمنًا ظالمًا عسوفًا من سيئات الدهر. السَّخَاوِي، شَمْس الدِّين محمد بن عبد الرَّحْمَن[ت٩٠٢هـ/١٤٩٧م]: الضَّوء اللاَّمِع لأهل القرن التَّاسِع، دار الجيل, بيروت, ١٤١٢هـ/١٩٩٢م, جـ٢ صـ٢٦٧, ٢٦٨.

(lxxxii) السخاوي: الضوء اللامع, جـ١ ق٤ صـ١٣٤.

(lxxxiii) إنباء الغمر, جـ٣ صـ٣٠٤.

(lxxxiv) باب الزهومة: كان في آخر ركن القصر، مقابل خزانة الدرق– والتي عُرفت بخان مسرور – وعُرف باب الزهومة؛ لأن اللحوم وحوائج الطعام التي كانت تدخل إلى مطبخ القصر كان يُدخل بها من هذا الباب, والزهومة تعني: الزفر. المقريزي: الخطط, جـ٢ صـ٣٣٨/ جـ٣ صـ١٧٧.

(lxxxv) هو الأمير جانبك الساقي: كان خاصكيًا في الدولة الأشرفية برسباي, ثم ساقيًا في الظاهرية, ثم تآمر عشرة بعد سنة [٨٤٨هـ/١٤٤٤م], وصار رأس نوبة, ثم ولي ولاية القاهرة على كره منه, والججوبية, ثم أضيفت له الحسبة سنة[٨٥٤هـ/١٤٥٠م], ثم نقله الأشرف أينال إلى الزردكاشية, فلم يباشرها بل مرض أيامًا قليلة ثم مات في[ربيع الاول٨٥٧هـ/مارس١٤٥٣م]، وكان مشكور السيرة في أحكامه, ومعرفة بأنواع الفروسية. السخاوي: الضوء اللامع, جـ٣ صـ٦١, ٦٢.

(lxxxvi) البقاعي: إظهار العصر, ق١ صـ١٣٢, ١٣٣.

(lxxxvii) هو الأمير آصباي البواب: كان أحد خواص مماليك السلطان وخاصكيته, ومن المماليك الأجلاب, تولى ولاية القاهرة في[جمادى الأولى٨٧٢هـ/نوفمبر١٤٦٧م]. ابن شاهين: نَيل الأَمَل, جـ٢ ق٦ صـ٣٠٠.

(lxxxviii) النطرون أو الأطرون: ويسمى البورق, مادة أقوى من الملح. يدخل في صناعة الصابون والنسيج. ويوجد في مصر بالبر الغربي بناحية الطرانة, وذكر ابن المدبر: وقد كان الرسم فيه بديوان السلطان أن يحمل منه في كل سنة عشرة آلاف قنطار، ويعطى الضمان منها في كل سنة قدر ثلاثين قنطارًا يتسلمونها من الطرانة. الصغاني, الحسن بن محمد بن الحسن الحنفي[ت٦٥٠هـ/١٢٥٢م]: التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية, تحقيق: إبراهيم إسماعيل الأبياري, جـ٢, مطبعة دار الكتب, القاهرة, ١٩٧١م, باب الراء, فصل النون, مادة(ن ط ر)؛ ابن أيبك, أبو بكر بن عبد الله الدواداري[ت بعد٧٣٦هـ/١٣٣٥م]: كنز الدُرَر وجامع الغُرَر, تحقيق: هانز روبرت رويمر, المعهد الألماني للآثار, القاهرة, ١٣٩١هـ/١٩٧١م, جـ١ صـ١٦٦؛ المقريزي: الخطط, جـ١ صـ٢٠٥؛ أحمد رضا: معجم متن اللغة, جـ٥ صـ٤٨٤.

(lxxxix) ابن شاهين: نَيل الأَمَل, جـ٢ ق٦ صـ٢٥٥.

(xc) قاسم عبده قاسم: أسواق مصر في عصر المماليك, صـ٣٣, ٣٤.

(xci) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة, جـ١٦ صـ٣٤٢؛ ابن شاهين: نَيل الأَمَل, جـ٢ ق٦ صـ٣٠٠.

(xcii) الدلال: هو السمسار الذي يعلن عن السلعة, ويزينها؛ إغراءً للمشتري, بتزيين المبيع؛ وإغراء للبائع بتزيين السعر؛ بغية بيعها, فهو وسيط بين البائع والمشتري. عمارة: قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية, صـ٢٢٠.

(xciii) الحسينية: حارة عرفت بطائفة من عبيد الشراء, سكنها الأرمن, وقد بلغوا نحو سبعة آلاف نفس، وبها أسواق عدة, وهي شقتان إحداهما ما خرج عن باب الفتوح إلى الخندق، وكانت مساكن الجند زمن الفاطميين والأخرى ما خرج عن باب النصر وامتد طولًا إلى الريدانية. المقريزي: الخطط, جـ٣ صـ٤٠– ٤٢.

(xciv) ابن شاهين: نَيل الأَمَل, جـ٢ ق٧ صـ٣٩٨.

(xcv) قيسارية أمير علي: كانت بشارع القاهرة تجاه الجملون الكبير، بجوار قيسارية جهاركس، يفصل بينهما درب قيطون، عرفت بالأمير علي بن الملك المنصور قلاوون. المقريزي: الخطط, جـ٣ صـ١٥٨.

(xcvi) هو الأمير سيف الدين يلبغا الناصري: كان من أتباع يلبغا الكبير الناصري فنسب كنسبه, كان على نيابة حلب في دولة الصالح حاجي, ولما تسلطن برقوق عزله, وسجن بالإسكندرية ثم عاد إلى إمرة حلب في[٧٩٠هـ/١٣٨٧م], ثم أظهر العصيان, وتمكن من سجن برقوق وأعاد الصالح حاجي إلى السلطنة, واستقل بتدبير المملكة, ثم خلص الظاهر من سجن الكرك, وعاد برقوق إلى القاهرة فأفرج عن "يلبغا" وأعاده إلى نيابة حلب, ثم قلده إمرة دمشق, وكان "يلبغا" شجاعًا عاقلًا لا يحب سفك الدماء ولولا ذلك لكان منطاش قتل الظاهر ولكن تأخر أجله. ابن حجر: الدُرَر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: سالم الكرنكوي, الجيل, بيروت١٤١٤هـ/١٩٩٣م, جـ٤ صـ٤٤٠– ٤٤٢.

(xcvii) هو الأمير ناصر الدين محمد بن الحسام: محمد بن لاجين الصقري المنجكي, ذكره طاهر بن حبيب في ذيل تاريخ والده وأثنى عليه بالمعرفة بتدبير المملكة, وقد ولي ناصر الدين المذكور الوزارة في أيام الملك

الظاهر وباشرها بحرمة ومهابة ورتب بحضرته من كان وزيرًا قبله وكانوا أربعة فرتبهم في استيفاء الدولة. ابن حجر: الدرر الكامنة, جـ٤ صـ٢٧٩.

(xcviii) شاد الدواوين: موضوعها التحدث في استخراج الأموال السلطانية، وكانت في الأيام المتقدمة إمرة طبلخاناه، ثم استقرت إمرة عشرة, ثم إلى جندي من أجناد الحلقة. القَلْقَشَنْدِي: صُبْح الأعشى, جـ٤ صـ١٨٦.

(xcix) هو الأمير شهاب الدين أحمد بن الأمير "يلبغا" الخاصكي: الحسني، ابن صاحب المكبش، وأستاذ الملك الظاهر برقوق، أحد مقدمي الألوف بالديار المصرية، وأمير مجلس في دولة الملك الظاهر برقوق، واستمر عَلَى ذَلِكَ إلى أن مات الملك الظاهر برقوق وتسلطن ولده الملك الناصر فرج. أبو المحاسن: المَنْهَل الصَّافِي والمستوفى بعد الوافي, تحقيق: محمد محمد أمين, الهيئة المصرية العَامَّة للكتاب, القاهرة, ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م, جـ٢ صـ٢٦٨, ٢٦٩.

(c) ابن الفُرَات, ناصر الدِّين محمد بن عبد الرحيم بن عَلِي الحَنَفِي[ت٨٠٧هـ/١٤٠٤م]: تاريخ ابن الفُرَات, تحقيق: قسطنطين زريق, المطبعة الأمريكانية, بيروت, ١٩٣٦م, مـج٩ جـ١ صـ١١٣؛ المقريزي: السلوك, جـ٥ صـ٢٤٢؛ ابن حجر: إنباء الغمر, جـ١ صـ٣٧٢؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة, جـ١١ صـ٢٧٣.

(ci) ابن إياس: بَدَائِع الزُّهُور, جـ٤ صـ٣٧٨.

(cii) صحيح البخاري, كتاب أحاديث الأنبياء, باب حديث الغار, رقم٣٤٧٥.

(ciii) عمارة: قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية, صـ٢٨٨.

(civ) السُّبْكِي، تاج الدِّين عبد الوهاب بن عَلِي[ت٧٧١هـ/١٣٦٩م]: معيد النعم ومبيد النقم, تحقيق: محمد علي النجار, وأبو زيد شلبي, ومحمد أبو العيون, مكتبة الخانجي, القاهرة, ط٢, ١٤١٣هـ/١٩٩٣م, صـ٣٧؛ ابن كنان: حدائق الياسمين, صـ١٠٩.

(cv) حسن حبشي: رحلة طافور في عالم القرن الخامس عشر الميلادي, مكتبة الثقافة الدينية, القاهرة, ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م, صـ٩٨.

(cvi) فايز نجيب إسكندر: زمن المماليك الجراكسة في عيني الرحالة الفرنسي جان ثونو, صـ٢٦٠.

(cvii) الصاغة: ذكر من أسواق الصاغة في دمشق سوقان: أحدهما الصاغة الجوانية, وكان يباع فيها اللؤلؤ والجواهر, والآخر الصاغة البرانية, وكان يصنع فيها الخواتم والأساور. فيصل عبد الله محمد بني حمد: الأسواق الشامية في العصر المملوكي, رسالة ماجستير, جامعة اليرموك, ١٤١٢هـ/١٩٩٢م, صـ٢٩.

(cviii) ابن حجي: تاريخه, مج١ صـ١٦٣.

(cix) الطَّوَاشِي: لقب عام للخصيان من الغلمان, كما كان في عصر المماليك لقبًا يُطلق على جُند الأمراء في المكاتبات إليهم بتوقيع أو نحوه. حسن الباشا: الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار, دار النهضة العربية, القاهرة, ١٩٧٨م, صـ٣٨٢.

(cx) هو الأمير يشبك الدويدار: يشبك من مهدي الظاهري جقمق ويعرف بالصغير, عينه إينال دواداريًّا صغيرًا, ثم أرسله الظاهر خشقدم سنة[٨٧١هـ/١٤٦٦م] كاشفًا ونائبًا للصعيد, ثم عينه قايتباي في الدوادارية

الكبرى, وبنى أبنية تعليمية وخيرية وتجارية كثيرة, وقُتل في[رمضان٨٨٥هـ/نوفمبر ١٤٨٠م]. السخاوي: الضَّوء اللاَّمِع, جـ١٠ صـ٢٧٢- ٢٧٤.

(cxi) الصاري: هو دقل السفينة الذي ينصب وسطها قائمًا ويكون عليه الشراع. الكجراتي, جمال الدين محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي[ت٩٨٦هـ/١٥٧٨م]: مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار, مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية, حيدر أباد, ط٣, ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م, جـ٣ صـ٣١٩.

(cxii) ابن شاهين: نَيل الأَمَل, جـ٢ ق٧ صـ١٤٣.